بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، جل من رب وتعالى من إله، هو سبحانه رب كل شيء ومليكه ومولاه، وهو العلي الأعلى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عالم السر والنجوى، والمؤمَّل لكشف كل بلوى، ورفع كل لأوى، سبحانه وبحمده ليس في الكون رب سواه فيدعى، وليس في الوجود إله غيره فيرجى، وليس في الملأ حكم غيره فترفع إليه الشكوى، وأشهد أن نبينا وقدوتنا محمداً عبد الله ورسوله النبي المصطفى، والرسول المجتبى، والحبيب المرتضى، بلغ رسالة ربه فما ضل وما غوى.

أما بعد:

فلقد تميزت إسهامات ابن سينا في جوانب كثيرة من المعرفة أودعها مؤلفاته العديدة التي وصلت ما يقارب مائتين وخمسين مؤلفا، بين كتاب ورسالة ومقالة، صنفها في شتى أنواع العلوم والمعارف منها الرياضيات والمنطق، والأخلاق، والطبيعيات، والطب، والفلسفة.

إلا أن أبرز إنجازاته تظهر في مجال الطب فصنف فيه كتابه "القانون"، الذي وضع فيه ملاحظات دقيقة مثل ربطه بين السل وأمراض الرئة الأخرى، والإشارة إلى دور الماء والأتربة في نقل العدوى المرضية إضافة إلى الربط بين العوامل النفسية والعاطفية والمرض وأسباب الشذوذ. ولقد نال هذا الكتاب شهرة كبيرة في الأوساط الطبية، فقد شرحه من قبل عدد كبير من الأطباء الذين جاءوا من بعده. كما تُرجم إلى لغات أوروبية عديدة، حيث ظل يدرس في جامعات أوروبا طوال أربعة قرون متصلة.

علاوة على ذلك فيعد ابن سينا واحدا من أشهر الشعراء الذين وضعوا أرجوزات في العلوم. وتعد أرجوزته في الطب من أشهر هذه الأرجوزات.

ولقد تميزت فلسفة ابن سينا بأنها تؤلف بين الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية. وقد كان ابن سينا من الرافضين لفكرة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب.

كما درس الظواهر الطبيعية كقوس قزح وتشكل الصورة بورود الضوء إلى العين. وناقش فكرة الما لا نهاية، وقال: إن سرعة الضوء لا نهائية، ودرس علاقة الزمن بالحركة، وأجرى تجاربه وقياساته لحساب الكثافة النوعية للعديد من المواد، وابتكر ميزانا للحرارة يقوم على تمدد الغاز المحصور.

ومما يؤسف له أن ابن سينا رغم عقليته الفذة في الطب وسائر العلوم لم يكن من المهتمين بصحتهم. ففي آخر حياته كثرت عليه الأمراض، وحاول بعض خدمه التخلص منه لنهب أمواله، وشعر هو بضعف صحته، وعرف أن قوته قد سقطت فامتنع عن مداواة نفسه حتى أدركته المنية عام ٤٢٨هـ / ١٠٣٧ م بهمدان.

أما عن إسهاماته في الطبيعيات، فتظهر في كتبه: الشفاء ، والنجاة، والإشارات.

ولقد وفقنا الله تعالى في العثور على نسخة لكتاب "**النجاة في المنطق**" وهو من أهم كتب الشيخ الرئيس ابن سينا، الذي تفنن فيه وأبدع، وجمع فيه خلاصة فكره، كما أن هذا الكتاب يصور لنا تقدم الفكر الإسلامي في هذه الحقبة التاريخية، ومن هذا الكتاب ومجموع كتب الشيخ الرئيس استقى الغرب حضارتهم الفكرية الحديثة.

وقد حاولنا جاهدين إخراج هذا الكنز الفكري في أبهى صورة، وندعو من الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله وسلم على سيّد البلغاء من الناس مُحمّدِ بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمير الأطباء
الشيخ الرئيس ابن سينا

اسمه ونسبه:

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم مسلم اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما.

عُرِفَ باسم الشيخ الرئيس، وسماه الغربيون بأمير الأطباء، وأبو الطب الحديث.

وقد ألّف العديد من الكتب في مواضيع مختلفة، العديد منها يركّز على الفلسفة والطب. ويُعد ابن سينا من أول من كتب عن الطبّ في العالم، ولقد اتبع نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. وأشهر أعماله كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

ويقال: كان الطب معدومًا فأوجده أبقراط، وكان ميتًا فأحياه جالينوس، وكان متفرقًا فجمعه الرازي، وكان ناقصًا فأكمله ابن سينا.

مولده ونشأته:

ولد في قرية (أفشنة) بالقرب من بخارى (في أوزبكستان حاليًا) من أب من مدينة بلخ (في أفغانستان حاليًا) وأم قروية سنة (٣٧٠هـ /٩٨٠م) وتوفي في مدينة همدان (في إيران حاليًا) سنة (٤٢٧هـ /١٠٣٧م).

ووالده من أتباع الباطنية، كما ذكر ابن سينا وقد كان يحضر اجتماعاتها السرية ويعقد بعضها في بيته، ويحرص على حضور ابن سينا وأخيه لتلك الاجتماعات، وإن كان ابن سينا غير مقتنع بها.

رحل إلي مدينة بخاري وهناك التحق ببلاط السلطان نوح بن منصور الساماني، الذي أسند إليه متابعة الأعمال المالية للسلطان.

في بخارى بدأ ابن سينا رحلة تلقي العلوم، حفظ القرآن وعمره لم يتجاوز العاشرة ثم تلقي علوم الفقه والأدب والفلسفة والطب.

حدث أن قدم إلى بلدة بخارى عالم متخصص بعلوم الفلسفة والمنطق اسمه "أبو عبد الله النائلي" وهو من فلاسفة الباطنية، فاستضافه والد ابن سينا، وطلب إليه أن يُلقِن ابن

سينا شيئاً من علومه، فما كان من هذا العالم إلا أن تفرَغ لتلميذه، وأخذ عليه دروسًا من كتاب "المدخل إلى علم المنطق" المعروف باسم "إيساغوجي".

وما كان أشد إعجاب النائلي من تلميذه حين وجده يجيب عن الأسئلة المنطقية المحورية إجابات صائبة تكاد لا تخطر على بال معلمه. واستمر ابن سينا مع معلمه إلى أن غادر هذا المعلم بلدة بخارى.

بدأ نبوغ ابن سينا منذ صغره؛ إذ يحكي أنه قام وهو لم يتجاوز الثامنة عشر بعلاج السلطان نوح بن منصور الساماني، وكانت هذه هي الفرصة الذهبية التي سمحت لابن سينا إلتحاقه ببلاط السلطان، ووضعت مكتبته الخاصة تحت تصرف ابن سينا.

ترحاله:

كان ابن سينا محبًا للترحال لطلب العلم، حتى إذا بلغ العشرين من عمره توفي والده، فرحل أبو علي الحسين بن سينا إلى جرجان، وأقام بها مدة، وألف كتابه "القانون في الطب"، ولكنه ما لبث أن رحل إلى "همدان" فحقق شهرة كبيرة، وصار وزيرًا للأمير "شمس الدين البويهي"، إلا أنه لم يطل به المقام بها. ففي عام ١٠٢٢ توفي شمس الدولة ليجد ابن سينا نفسه وسط محيط غير مريح. وتسبب موت راعيه في مرحلة من المصاعب بلغت ذروتها بسجنه. ولحسن حظه استطاع ابن سينا أن يهرب إلى أصفهان، ٢٥٠ ميلا جنوب طهران، مصحوبًا برهط صغير من أعوانه وقرر أن يستقر فيها. وفعلا قضى في أصفهان ١٤ عامًا في طمأنينة نسبية. وفيها أنهى كتابه "القانون في الطب" كما أنهى أيضًا كتابه الشهير الآخر "كتاب الشفاء".

إذ رحل إلى "أصفهان" وحظي برعاية أميرها "علاء الدولة"، وظل بها حتى خرج من الأمير علاء الدولة في إحدى حملاته إلى همدان؛ حيث وافته المنية بها في (رمضان ٤٢٨هـ= يونيو ١٠٣٧م).

في محراب العلم والإيمان:

كان ابن سينا عالمًا وفيلسوفًا وطبيبًا وشاعرًا، ولُقِّب بالشيخ الرئيس والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عُرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقًا لعصره في مجالات فكرية عديدة، و لم يصرفه اشتغاله بالعلم عن المشاركة في الحياة العامة في عصره؛

فقد تعايش مع مشكلات مجتمعه، وتفاعل مع ما يموج به من اتجاهات فكرية، وشارك في صنع نهضته العلمية والحضارية.

وكان لذلك كله أبلغ الأثر في إضفاء المسحة العقلية على آرائه ونظرياته، وقد انعكس ذلك أيضا على أفكاره وآثاره ومؤلفاته، فلم يكن ابن سينا يتقيد بكل ما وصل إليه ممن سبقوه من نظريات، وإنما كان ينظر إليها ناقدًا ومحللا، ويعرضها على مرآة عقله وتفكيره، فما وافق تفكيره وقبله عقله أخذه وزاد عليه ما توصل إليه واكتسبه بأبحاثه وخبراته ومشاهداته، وكان يقول: إن الفلاسفة يخطئون ويصيبون كسائر الناس، وهم ليسوا معصومين عن الخطأ والزلل.

ولذلك فقد حارب التنجيم وبعض الأفكار السائدة في عصره في بعض نواحي الكيمياء، وخالف معاصريه ومن تقدموا عليه، الذين قالوا بإمكان تحويل بعض الفلزات الخسيسة إلى الذهب والفضة، فنفى إمكان حدوث ذلك التحويل في جوهر الفلزات، وإنما هو تغيير ظاهري في شكل الفلز وصورته، وفسّر ذلك بأن لكل عنصر منها تركيبه الخاص الذي لا يمكن تغييره بطرق التحويل المعروفة.

وقد أثارت شهرة ابن سينا ومكانته العلمية حسد بعض معاصريه وغيرهم عليه، ووجدوا في نزعته العقلية وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلا للطعن عليه واتهامه بالإلحاد والزندقة، ولكنه كان يرد عليهم بقوله: "إيماني بالله لا يتزعزع؛ فلو كنت كافرًا فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض".

ريادة فلكية:

كان لابن سينا ريادات في العديد من العلوم والفنون؛ ففي مجال علم الفلك استطاع ابن سينا أن يرصد مرور كوكب الزهرة عبر دائرة قرص الشمس بالعين المجردة في يوم (١٠ جمادى الآخرة ٤٢٣ هـ = ٢٤ مايو ١٠٣٢م)، وهو ما أقره الفلكي الإنجليزي "جيرميا روكس" في القرن السابع عشر.

فقد قام بدراسات فلكية حينما كان في أصفهان ولاحقاً في همذان. وأثمرت هذه الدراسات عددًا من الاستدلالات التي ثبتت صحتها بعد قرون. وعلى سبيل المثال استطاع رصد كوكب الزهرة كبقعة على سطح الشمس واستنتج محقًا أن الزهرة لابد وأن يكون أقرب للأرض مما هو للشمس. كما ابتكر أيضاً جهازاً لرصد إحداثيات النجوم.

واشتغل ابن سينا بالرصد، وتعمق في علم الهيئة، ووضع في خلل الرصد آلات لم يُسبق إليها، وله في ذلك عدد من المؤلفات القيمة، منها:

١- كتاب الأرصاد الكلية.

٢- رسالة الآلة الرصدية.

٣- كتاب الأجرام السماوية.

٤- كتاب في كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعي.

٥- مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط.

٦- كتاب إبطال أحكام النجوم.

عالم جيولوجيا:

وله أيضا قيمة في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) خاصة في المعادن وتكوين الحجارة والجبال، فيرى أنها تكونت من طين لزج خصب على طول الزمان، وتحجر في مدد لا تضبط، فيشبه أن هذه المعمورة كانت في سالف الأيام مغمورة في البحار، وكثيرًا ما يوجد في الأحجار إذا كسرت أجزاء من الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها.

كما ذكر الزلازل وفسرها بأنها حركة تعرض لجزء من أجزاء الأرض؛ بسبب ما تحته، ولا محالة أن ذلك السبب يعرض له أن يتحرك ثم يحرك ما فوقه، والجسم الذي يمكن أن يتحرك تحت الأرض، وهو إما جسم بخاري دخاني قوى الاندفاع أو جسم مائي سيّال أو جسم هوائي أو جسم ناري.

ويتحدث عن السحب وكيفية تكونها؛ فيذكر أنها تولد من الأبخرة الرطبة إذا تصعّدت الحرارة فوافقت الطبقة الباردة من الهواء، فجوهر السحاب بخاري متكاثف طاف الهواء، فالبخار مادة السحب والمطر والثلج والطل والجليد والصقيع والبرد وعليه تتراءى الهالة وقوس قزح.

عالم نبات:

وكان لابن سينا اهتمام خاص بعلم النبات، وله دراسات علمية جادة في مجال النباتات الطبية، وقد أجرى المقارنات العلمية الرصينة بين جذور النباتات وأوراقها وأزهارها، ووصفها وصفًا علميًا دقيقًا ودرس أجناسها، وتعرض للتربة وأنواعها والعناصر

المؤثرة في نمو النبات، كما تحدث عن ظاهرة المساهمة في الأشجار والنخيل، وذلك بأن تحمل الشجرة حملا ثقيلا في سنة وحملا خفيفا في سنة أخرى أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى.

وأشار إلى اختلاف الطعام والرائحة في النبات، وقد سبق كارل متز الذي قال بأهمية التشخيص بوساطة العصارة، وذلك في سنة ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤م.

ابن سينا والأقرباذين:

وكان لابن سينا معرفة جيدة بالأدوية وفعاليتها، وقد صنف الأدوية في ست مجموعات، وكانت الأدوية المفردة والمركبة (الأقرباذين) التي ذكرها في مصنفاته وبخاصة كتاب القانون لها أثر عظيم وقيمة علمية كبيرة بين علماء الطب والصيدلة، وبلغ عدد الأدوية التي وصفها في كتابه نحو ٧٦٠ عقّارًا رتبها ألفبائيًا.

ومن المدهش حقا أنه كان يمارس ما يعرف بالطب التجريبي ويطبقه على مرضاه، فقد كان يجرب أي دواء جديد يتعرف عليه على الحيوان أولا، ثم يعطيه للإنسان بعد أن تثبت له صلاحيته ودقته على الشفاء.

كما تحدث عن تلوث البيئة وأثره على صحة الإنسان فقال: "فما دام الهواء ملائمًا ونقيًا وليس به أخلاط من المواد الأخرى بما يتعارض مع مزاج التنفس، فإن الصحة تأتي". وذكر أثر ملوثات البيئة في ظهور أمراض حساسية الجهاز التنفسي.

الطبيب الإنسان:

بالرغم من الشهرة العريضة التي حققها ابن سينا كطبيب والمكانة العلمية العظيمة التي وصل إليها حتى استحق أن يلقب عن جدارة بأمير الأطباء، فإنه لم يسعَ يوما إلى جمع المال أو طلب الشهرة؛ فقد كان يعالج مرضاه بالمجان، بل إنه كثيرًا ما كان يقدم لهم الدواء الذي يعده بنفسه.

كان ابن سينا يستشعر نبل رسالته في تخفيف الألم عن مرضاه؛ فصرف جهده وهمته إلى خدمة الإنسانية ومحاربة الجهل والمرض.

واستطاع ابن سينا أن يقدم للإنسانية أعظم الخدمات بما توصل إليه من اكتشافات، وما يسره الله له من فتوحات طبية جليلة؛ فكان أول من كشف عن العديد من الأمراض التي ما زالت منتشرة حتى الآن، فهو أول من كشف عن طفيل "الإنكلستوما" وسماها

الدودة المستديرة، وهو بذلك قد سبق الإيطالي "دوبيني" بنحو ٩٠٠ سنة، وهو أول من وصف الالتهاب السحائي، وأول من فرّق بين الشلل الناجم عن سبب داخلي في الدماغ والشلل الناتج عن سبب خارجي، ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم، مخالفًا بذلك ما استقر عليه أساطين الطب اليوناني القديم.

كما كشف لأول مرة عن طرق العدوى لبعض الأمراض المعدية كالجدري والحصبة، وذكر أنها تنتقل عن طريق بعض الكائنات الحية الدقيقة في الماء والجو، وقال: إن الماء يحتوي على حيوانات صغيرة جدًا لا تُرى بالعين المجردة، وهي التي تُسبب بعض الأمراض، وهو ما أكده "فان ليوهوك" في القرن الثامن عشر والعلماء المتأخرون من بعده، بعد اختراع المجهر.

وكان ابن سينا سابقًا لعصره في كثير من ملاحظاته الطبية الدقيقة، فقد درس الاضطرابات العصبية والعوامل النفسية والعقلية كالخوف والحزن والقلق والفرح وغيرها، وأشار إلى أن لها تأثيرا كبيرًا في أعضاء الجسم ووظائفها، كما استطاع معرفة بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى الأساليب النفسية في معالجة مرضاه.

ابن سينا وعلم الجراحة:

وقد اتبع ابن سينا في فحص مرضاه وتشخيص المرض وتحديد العلاج الطريقة الحديثة المتبعة الآن، وذلك عن طريق جس النبض والقرع بإصبعه فوق جسم المريض، وهي الطريقة المتبعة حاليًا في تشخيص الأمراض الباطنية، والتي نسبت إلى "ليوبولد أينبرجر" في القرن الثامن عشر، وكذلك من خلال الاستدلال بالبول والبراز.

ويُظهر ابن سينا براعة كبيرة ومقدرة فائقة في علم الجراحة، فقد ذكر عدة طرق لإيقاف النزيف، سواء بالربط أو إدخال الفتائل أو بالكي بالنار أو بدواء كاو، أو بضغط اللحم فوق العرق.

وتحدث عن كيفية التعامل مع السهام واستخراجها من الجروح، ويُحذر المعالجين من إصابة الشرايين أو الأعصاب عند إخراج السهام من الجروح، وينبه إلى ضرورة أن يكون المعالج على معرفة تامة بالتشريح.

كما يعتبر ابن سينا أول من اكتشف ووصف عضلات العين الداخلية، وهو أول من قال بأن مركز البصر ليس في الجسم البلوري كما كان يعتقد من قبل، وإنما هو في العصب البصري.

وكان ابن سينا جراحًا بارعًا، فقد قام بعمليات جراحية ودقيقة للغاية مثل استئصال الأورام السرطانية في مراحلها الأولى وشق الحنجرة والقصبة الهوائية، واستئصال الخراج من الغشاء البلوري بالرئة، وعالج البواسير بطريقة الربط، ووصف بدقة حالات النواسير البولية كما توصل إلى طريقة مبتكرة لعلاج الناسور الشرجي لا تزال تستخدم حتى الآن، وتعرض لحصاة الكلى وشرح كيفية استخراجها والمحاذير التي يجب مراعاتها، كما ذكر حالات استعمال القسطرة، وكذلك الحالات التي يحذر استعمالها فيها.

الأمراض التناسلية:

كما كان له باع كبير في مجال الأمراض التناسلية، فوصف بدقة بعض أمراض النساء، مثل: الانسداد المهبلي والأسقاط، والأورام الليفية.

وتحدث عن الأمراض التي يمكن أن تصيب النفساء، مثل: النزيف، واحتباس الدم، وما قد يسببه من أورام وحميات حادة، وأشار إلى أن تعفن الرحم قد ينشأ من عسر الولادة أو موت الجنين، وهو ما لم يكن معروفًا من قبل، وتعرض أيضا للذكورة والأنوثة في الجنين وعزاها إلى الرجل دون المرأة، وهو الأمر الذي أكده مؤخرًا العلم الحديث.

كتاب عربي علّم العالم:

وقد حظي كتابه القانون في الطب شهرة واسعة في أوربا، حتى قال عنه السيد "وليم أوسلر": إنه كان الإنجيل الطبي لأطول فترة من الزمن.

وترجمه إلى اللاتينية "جيرارد من كريمونا"، وطبع نحو ١٥ مرة في أوربا ما بين عامي (٨٧٨هـ= ١٤٧٣م، و٩٠٦ هـ = ١٥٠٠م) ثم أعيد طبعه نحو عشرين مرة في القرن السادس عشر.

وظل هذا الكتاب المرجع الأساسي للطب في أوربا طوال القرنين الخامس والسادس عشر، حتى بلغت طبعاته في أوربا وحدها أكثر من ٤٠ طبعة.

واستمر يُدرّس في جامعات إيطاليا وفرنسا وبلجيكا حتى أواسط القرن السابع عشر، ظل خلالها هو المرجع العلمي الأول بها.

قانون ابن سينا للحركة والسكون:

أما في مجال الفيزياء فقد كان ابن سينا من أوائل العلماء المسلمين الذين مهدوا لعلم الديناميكا الحديثة بدراستهم في الحركة وموضع الميل القسري والميل المعاون، وإليه يرجع الفضل في وضع القانون الأول للحركة، والذي يقول بأن الجسم يبقى في حالة سكون أو حركة منتظمة في خط مستقيم ما لم تجبره قوى خارجية على تغيير هذه الحالة، فقد سبق ابن سينا إلى ملاحظة حركة الأجسام، واستنباط ذلك القانون الذي عبّر عنه بقوله: "إنك لتعلم أن الجسم إذا خُلي وطباعه ولم يعرض له من خارج تأثير غريب لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين، فإذن له في طباعه مبدأ استيجاب ذلك".

وهو بذلك سبق إسحاق نيوتن بأكثر من ستة قرون وجاليليو بأكثر من ٥ قرون وليوناردو دافنشي بأكثر من ٤ قرون؛ مما يستحق معه أن ينسب إليه ذلك القانون الذي كان له فضل السبق إليه: "قانون ابن سينا للحركة والسكون".

كما ابتكر ابن سينا آلة تشبه الورنية Vernier، وهي آلة تستعمل لقياس الأطوال بدقة متناهية.

واستطاع بدقة ملاحظة أن يفرق بين سرعتي الضوء والصوت، وهو ما توصل إليه إسحاق نيوتن بعد أكثر من ٦٠٠ سنة، وكانت له نظرياته في (ميكانيكية الحركة)، التي توصل إليها "جان بيردان" في القرن الرابع عشر، و(سرعة الحركة) التي بنى عليها "ألبرت أينشتين" نظريته الشهيرة في النسبية.

ابن سينا والموسيقى:

ولابن سينا إسهاماته في الموسيقى، ويقال: إنه كاتب رباعيات شعرية فارسية وقصائد قصيرة، منها:

"من وسط الأرض نهضت للسماء السابعة

وتربعت على عرش زحل

حللت عقداً كثيرة في الطريق

إلا العقدة الكبرى: قَدَر البشر".

مؤلفاته:

وضع ابن سينا حوالي ٤٥٠ مؤلفًا، لم يصلنا منها سوى ٢٤٠ تقريبًا. ومن بين أعماله المتوفرة لنا اليوم هناك ١٥٠ في الفلسفة و٤٠ في الطب وهما الميدانان العلميان اللذان قدم فيهما أكبر إنجازاته. كما وضع أعمالا في علم النفس والجيولوجيا والرياضيات والفلك والمنطق.

وقد كتب كل مؤلفاته باللغة العربية باستثناء كتابين اثنين وضعهما بالفارسية وهي لغته الأم. أحد هذين الكتابين هو بعنوان "موسوعة العلوم الفلسفية" والثاني هو دراسة عن النبض أصبح ذائع الشهرة لاحقاً.

أولا: في الفلسفة:

١- الإشارات والتنبيهات: ذهب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلا إلى الأديان، فهو مؤسس الاتجاه الفلسفي الذي تحدى العقيدة وفكرة النبوة والرسالة في الإسلام، وكان يقول بقدم العالم وإنكار المعاد، ونفي علم الله وقدرته وخلقه العالم وبعثه من في القبور.

وذهب ابن سينا مذهب الفلاسفة من أمثال الفارابي أبي نصر التركي الفيلسوف، وكان الفارابي يقول بالمعاد الروحاني لا الجثماني، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وأعاد تلك الفكرة ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالي في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مجلسًا له كفّره في ثلاث منها وهي قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثماني، وقوله: إنّ الله لا يعلم الجزئيات، وبدّعه في البواقي.

لا شك أن صحبته لفلاسفة الباطنية كأبي عبد الله النائلي – الذي علمه بصغره– قد أثرت في تفكير ابن سينا، وهيأته للدور الذي لعبه في تنشيط تيار الفلسفة واتخاذها موقف التحدي للعقيدة الإسلامية، ومثال على ذلك "نظرية المعرفة" والتي ساوى فيها الفلاسفة مع الأنبياء، وقد خص الفلاسفة بميزة أخرى وهي أن الفلاسفة استمروا في رسالتهم وارتقاء معارفهم في الوقت الذي ختمت النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان أتباعه يدعون بـ "الألى" وقالوا مقالته ومن أشهرهم النصير الطوسي، واسمه: محمد بن عبد الله، ويقال له: الخواجا نصير الدين، الذي انتصر لمذهب ابن سينا والذب عنه

وشرح إشاراته وكان يسميها "قرآن الخاصة"، ويسمي كتاب الله تعالى "قرآن العامة"، ورد على الشهرستاني في مصارعته ابن سينا بكتاب سماه "مصارعة المصارع".

٢- كتاب الشفاء.

٣- كتاب النجاة. وهو الكتاب الذي بين أيدينا.

٤- كتاب المبدأ والمعاد.

٥- أسرار الحكمة المشرقية.

٦- رسالة حي بن يقظان.

٧- كتاب عيون الحكمة.

٨- الإنصاف في الحكمة.

ثانيًا: في العلوم الآلية:

تشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر والعلوم والطب، ومن آثاره اللغوية.

ثالثًا: في العلوم النظرية:

تشتمل على كتب العلم الكلّي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والطب النفسي.

رابعًا: في العلوم العملية:

وتشتمل على كتب الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير المدينة، والتشريع.

خامسًا: في العلوم الأصلية:

فروع وتوابع، فالطب مثلا من توابع العلم الطبيعي، والموسيقى وعلم الهيئة من فروع العلم الرياضي.

كتب الطب:

١- كتاب القانون: أشهر كتب ابن سينا الطبية الذي ترجم وطبع عدّة مرات، والذي ظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. جمع فيه ما عرفه الطب القديم وما ابتكره هو من نظريات واكتشفه من أمراض، وقد جمع فيه أكثر من سبعمائة وستين عقارًا مع أسماء النباتات التي يستحضر منها العقار. بحث ابن سينا في أمراض شتى أهمها السكتة الدماغية، التهاب السحايا والشلل العضوي، والشلل الناجم عن إصابة مركز في الدماغ، وعدوى السل الرئوي، وانتقال الأمراض التناسلية، والشذوذ في تصرفات الإنسان والجهاز الهضمي. وميز مغص الكلى من مغص المثانة وكيفية استخراج

الحصاة منهما كما ميز التهاب البلورة (غشاء الرئة) والتهاب السحايا الحاد من التهاب السحايا الثانوي.

ومن كتبه الطبية أيضاً.

٢- كتاب الأدوية القلبية.

٣- وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية.

٤- وكتاب القولنج.

٥- ورسالة في سياسة البدن وفضائل الشراب.

٦- ورسالة في تشريح الأعضاء.

٧- ورسالة في الفصد.

٨- ورسالة في الأغذية والأدوية.

٩- ولابن سينا أراجيز طبية كثيرة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة المجربات في الطب والألفية الطبية المشهورة التي ترجمت وطبعت.

في الرياضيات:

١- رسالة الزاوية.

٢- مختصر إقليدس.

٣- مختصر الارتماطيقي.

٤- مختصر علم الهيئة.

٥- مختصر المجسطي.

٦- رسالة في بيان علّة قيام الأرض في وسط السماء، طبعت في مجموع (جامع البدائع)، في القاهرة سنة ١٩١٧.

في الطبيعيات وتوابعها:

١- رسالة في إبطال أحكام النجوم.

٢- رسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد.

٣- رسالة في الفضاء.

٤- رسالة في النبات والحيوان.

٥- قانون الحركة الأول، وفيه: (الجسم الساكن يبقى ساكنًا والجسم المتحرك يبقى متحركًا ما لم تؤثر عليه قوة خارجية) والذي نسبه لنفسه إسحاق نيوتن.

في الموسيقى:

١- مقالة جوامع علم الموسيقى.

٢- مقالة في الموسيقى. ومقالات أخرى.

ابن سينا في عيون الغرب:

حظي ابن سينا بتقدير واحترام العلماء والباحثين على مر العصور حتى قال عنه "جورج ساتون": "إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي".. "إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة في القرون الوسطى".

ويقول دي بور: "كان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن، واعتبر في المقام كأرسطو".

ويقول "أوبرفيل": "إن ابن سينا اشتهر في العصور الوسطى، وتردد اسمه على كل شفة ولسان، ولقد كانت قيمته قيمة مفكر ملأ عصره.. وكان من كبار عظماء الإنسانية على الإطلاق".

ويصفه "هولميارد" بقوله: "إن علماء أوربا يصفون "أبا علي" بأنه أرسطو طاليس العرب، ولا ريب في أنه عالم فاق غيره في علم الطب وعلم طبقات الأرض، وكان من عادته إذا استعصت عليه مسألة علمية أن يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ثم يعود إلى المسألة بعد الصلاة بادئًا من جديد؛ فيوفق في حلها".

ولا تزال صورة ابن سينا تزين كبرى قاعات كلية الطب بجامعة "باريس" حتى الآن؛ تقديرًا لعلمه واعترافًا بفضله وسبْقه.

ويقول الدكتور خير الله في كتابه القيم الطب العربي: "ويصعب علينا في هذا العصر أن نضيف شيئًا جديدًا إلى وصف ابن سينا لأعراض حصى المثانة السريرية".

أوائل ابن سينا:

وهو أوَّل من وصف التهاب السحايا، وأظهر الفرق بين التهاب الحجاب الفاصل بين الرئتين والتهاب ذات الجنب.

وهو أوَّل من اكتشف الدودة المستديرة أو دودة الإنكلستوما قبل الطبيب الإيطالي روبنتي بأكثر من ثمانمائة سنة.

وهو أوَّل من اكتشف الفرق بين إصابة اليرقان الناتج من انحلال كريات الدم، وإصابة اليرقان الناتج من انسداد القنوات الصفراوية.

وهو أوَّل من وصف مرض الجمرة الخبيثة وسماها النار المقدسة.

وأوَّل من تحدَّث وبشكل دقيق عن السكتة الدماغية، أو ما يسمى بالموت الفجائي.

وأول من شخص الشلل النصفي وميز بين الشلل العضوي المحلي والشلل الناتج عن سبب مركزي في الدماغ.

أول من وصف أعراض داء «الفيلاريا» أو داء الفيل، وهو مرض يصيب الرجلين فتتضخمان.

وهو أول من وصف أعراض داء «الجمرة الخبيثة».

وأول من وضع أسس علم التخدير.

مصادر الترجمة:

١- سير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ١١٨، ١١٩.

٢- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٣/ ١٥٩ .

٣- الوافي بالوفيات للصفدي ١١/ ٧٩ - ٨٧ .

٤- عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ٢/ ٢ — ٢٠.

٥- تاريخ الحكماء للقفطي ٤١٣ — ٤٢٦.

٦- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ٥٢ — ٧٢.

٧- البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٤٢، ٤٣.

٨- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٥/ ٢٥، ٢٦.

٩- لسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٩١ — ٢٩٣.

١٠- تاريخ مختصر الدول لابن العبري ٣٢٥ — ٣٣٠.

١١- الكامل في التاريخ لابن الأثير ٩/ ١٥٧.

العصر الذي عاش فيه ابن سينا

تمهيد

عاش أبو علي ابن سينا في بيئة تشجع العلم والعلماء والتفكير والمفكرين واتصل في فترة من حياته بسلطان بخارى نوح بن نصر الساماني المعروف بحبه للعلم، وأفاد أبو علي كثيراً من كتبه ومؤلفاته التي شملت جميع العلوم فلسفة ومنهجاً وسلوكاً وأداء في جميع مناحي الحياة، وهذا ما يعكس أهمية الفترة التي عاش فيها إذ اتسمت بتعدد الثقافات العالمية الخالصة التي تعتمد على القرآن الكريم الذي نزل من عند العليم الخبير لا يقدم (نظرية) تتبدل من يوم لآخر، وإنما يقدم (حقائق) لا تتغير ولا تتبدل، بقصد هداية البشر إلى خالقهم فقد أنزل هداية ورحمة وشفاء....

ولكن من الحق أن نقول: إن الهداية والرحمة والشفاء لا تتم إلا بالعلم الصحيح «لذلك كان طبيعياً أن يكون موقف القرآن الكريم من العلم واضحاً (محمد خير عرقسوسي، ١٩٨٢، ابن سينا والنفس الإنسانية):

فهو يؤكد وجود الظواهر المختلفة التي تشهد لصانعها بالعظمة.

ويدعونا إلى تأمل تلك الظواهر ودراستها واستخراج ما أودع الله فيها من نظام ونسق لنزداد خشية لله وإيماناً به.

أجمع المؤرخون أن الشيخ الرئيس ازدهر في عصر اتصف بالانقسام والتجزئة الفكرية والثقافية والسياسية وأن مرحلة ازدهاره كانت مَعلماً بارزاً من معالم العلم والمعرفة والفهم، فهو عصر أنجب ابن سينا فيلسوف العقل، وابن الهيثم فيلسوف العلم، والبيروني فيلسوف الرياضة، ومحمد بن النعمان – المعروف بالمفيد – فيلسوف الفقه والكلام، والغزالي فيلسوف الشك والعرفان، وغيرهم ممن تحفل بهم كتب التراث العربي الإسلامي.

ومن المراكز الثقافية التي برزت في ذلك العصر مدينة (كركانج) الشبيهة بمدينة بخارى في عهد الدولة السامانية، وإلا أنها لم تبلغ مبلغ بخارى – ونشير إلى أن ابن سينا بعد وفاة والده هاجر إلى كركانج والتجأ إلى أحمد بن محمد السهلي الخوارزمي وزير خوارزمشاه علي بن مأمون وهذا ما أكده ابن سينا ذاته في إملاء سيرته الذاتية (مصطفى جواد، ١٨٦٥، الثقافة العقلية والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا).

أولا: أثر الفترة التي عاش فيها على آرائه العلمية والتربوية

– نضج فكر ابن سينا الوقاد وهو في العقد الثاني من حياته، واثق النفس، مؤتمناً على معرفته كل الائتمان، واسع العلم في شبابه وأكثر عمقاً في كهولته، مارس حياته العقلية منفتحة في جميع مجالات حياته، وأنتج في سجنه بعض كتبه الفلسفية والعلمية التي أحاطت بكل مشكلات عصره الفكرية» (جعفر آل ياسين، ١٩٨٤، دراسة تحليلية لحياة ابن سينا).

– إن ما قدمه ابن سينا من الإنتاج الفكري يشير إلى أن الفكر التربوي كان جزءاً غير مستقل عن النسق الفكري الكلي عنده، وهذا ما مكن كثيراً من المفكرين والفلاسفة في القرون الماضية ومنهم الشيخ الرئيس أن يكونوا موسوعيين بحيث لا يقتصر الواحد منهم على أن يكون طبيباً، أو فقيهاً، أو فيلسوفاً، أو غير ذلك من التخصصات، وإنما يجمع بينها جميعاً، بل إن منهم من لم يقف عند حدّ الاستيعاب والجمع وإنما تجاوز ذلك إلى الابتكار والإبداع في أكثر من فن أو علم وهذا هو حال ابن سينا الذي أحاط بكل مشكلات عصره الفكرية أجاد فأفاد كان يقوم بأعمال الدولة المكلف بها نهاراً ويتفرغ ليلا للكتابة والتدريس، تقرّب من السلاطين والأمراء والحكام والخلفاء الذين دأبوا على ضم العباقرة والمفكرين إلى مجالسهم العلمية لتحقيق الفائدة العلمية والمنفعة الشخصية، وابن سنيا نفسه لم يكن فيلسوفاً فحسب بل كان رجل سياسة، وهذا ما أجج الحاقدين والأعداء ضده إلا أن هذا لم يزده إلا عزيمة وأملا في تحقيق ما رسمه في ريعان شبابه، من الناحيتين العلمية والسياسية.

فمن الناحية العلمية كان من العباقرة المفكرين، فقد تميز بالدقة والمهارة والعمق والطراوة والتنسيق وجمال التأليف والتركيب وهذا لم نجده عند الفلاسفة العرب، كان موسوعياً غزير التأليف، شغل عمره القصير في التأليف مستفيداً من الظروف التي أحاطت به في عصره، ومن البيئة التي عاش فيها بتشجيع العلم والعلماء، والتفكير والمفكرين.

تناول الشيخ الرئيس في مؤلفاته جوانب متعددة من الفلسفة والعلم، وأثار كثيراً من المشكلات المعقدة خلال دراساته لقضايا الفكر الفلسفي والتربوي، وهو يتناول في كتبه ومؤلفاته ورسائله ومقالاته نفس المشكلات التي تواجه العاملين في التربية، إذ تحدث عن

الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق وهذا ما يبرزه في كتاب (السياسة) وتربية الطفل في كتاب (القانون) وهو بذلك يمثل صورة صادقة لعلاقة الفلسفة بالتربية، ونشير إلى أن الشيخ الرئيس عمل فترة غير قصيرة بالتعليم مارس مهنة التدريس وتكونت لديه نظرية تربوية لها أسسها الفلسفية من حيث نظرتها إلى الإنسان والمجتمع والمعرفة والأخلاق.

وإن آراءه التربوية تعطينا الصورة المشرقة للفكر التربوي عند ابن سينا استناداً إلى ما قدمه للإنسان والمجتمع إضافة إلى ما تناوله في مؤلفاته عن التربية، وعن ممارسته العملية التعليمية من مبادئ وأساليب تربوية تبصر المعلمين بنفسية المتعلمين وبحاجاتهم الفردية والاجتماعية، حيث إن دراسة العلوم التربوية تفيد المعلمين الذين يدرسون سائر فروع العلم التي يتضمنها المنهاج الدراسي لأنها تزودهم بطرق ووسائل التعليم الملائمة، وتسهل تحقيق الأهداف العامة والخاصة التي تقوم عليها التربية.

ولكن من الحق القول: إن العصر الذي عاش فيه ابن سينا، ساعده في إنتاج وافر ومتنوع على الرغم مما لاقى في حياته من القلق والظروف السياسية الصعبة، فكتب في مجال الفلسفة المختلفة وفي الدين واللغة: مجملا أو مفصلا، ملخصاً أو شارحاً، ناثراً أو ناظماً، مبتدئاً من نفسه أو مجيباً عن أسئلة وجهت إليه؛ فله في الموضوع الواحد أكثر من كتاب أو رسالة، وهذا ما أشار إليه الدكتور إبراهيم مدكور في مقدمته لمؤلفات ابن سينا بقوله: «ولعله بين فلاسفة الإسلام أكثرهم حظاً من البحث والدراسة، شغل به القدامى مؤيدين ومعارضين، وعنى به المحدثون ناشرين ومعلقين، بيد أنه لا يكاد يذكر في شيء ما نشر من مؤلفاته نشراً علمياً محققاً، وأغلب ما ظهر منها إنما نشر على عجل أو على أيدي غير المختصين، ولا يزال جانبها الأكبر مخطوطاً أو في حاجة إلى نشر جديد.

وهذه المخطوطات موزعة بين أركان العالم الأربعة في مصر ولبنان، وإيران، والهند، أو في روما ومدريد ولندن وباريس وبرلين وموسكو، وفي استانبول بوجه خاص منها قسط كبير».

والحق أن ابن سينا من الرجال القلائل في العالم الإسلامي الذين يصح أن نسميهم (موسوعيين) أو كما يسمون اليوم «كتاب دائرة المعارف» كما أكد الدكتور أحمد أمين

بقوله: وهؤلاء الموسوعيون نوعان: نوع وهو الأكثر يجمع ما كتب غيره ويبوبه ويصنفه كما فعل النويري في «نهاية الأدب» والقلقشندي في «صبح الأعشى» ونوع آخر أرقى من ذلك وهو تأليف الموسوعة لا الاقتصار على الجمع كما فعل الجاحظ: فقد ألف في شتى الموضوعات الأدبية والاجتماعية والتاريخية والكلامية؛ ولا ينقص تأليفاته أن تكون دائرة معارف إلا ترتيب موضوعها حسب الحروف الأبجدية؛ وكما فعل أبو علي ابن سينا فقد كان كذلك موسوعياً مؤلفاً، وإن كان طابعه الأعم الأغلب هو الفلسفة بجميع فروعها المعروفة في زمنه من إلهيات وطبيعيات وطب ونفس ومنطق ورياضة وأخلاق وتربية وغير ذلك. في كل هذا ألّف ابن سينا؛ «وقد يؤلف في الموضوع الواحد كتباً مختلفة مطولة ومختصرة؛ يعتمد فيها على فلسفة اليونان، وعلى تعاليم الإسلام، وعلى ابتكاراته الخاصة. ولم يصل البحث الدقيق إلى الكشف عن رسم الحد الفاصل بين ما نقله وما ابتكره، وقد منحه الله، كما طلب هو، حياة عريضة وإن لم تكن طويلة، فمع اتصاله بالسياسة واكتوائه بنارها، ومع اشتغاله أحياناً بالأعمال الحكومية، وغير الحكومية، فقد استطاع أن ينتج هذا النتاج الغزير العميق الواسع الذي لا يستطيع أن يقوم به متفرغ للبحث منقطع للدرس، لكن فضل الله يؤتيه من يشاء»(جورج شحاته قنواتي، ١٩٥٠، مؤلفات ابن سينا).

إن البيئة التي عاش فيها ابن سينا ساعدته على تحقيق أهدافه القائمة على إيجاد الإنسان الصالح، من حيث هو إنسان، يصرف النظر عن كونه مواطناً في هذا المكان، أو في ذلك الزمان حيث كانت التربية الإسلامية، هي السائدة في معاهد التعليم في ذلك العصر. ومن الحق أن نقول: إن القرن الرابع الهجري يعد من الناحية العلمية والثقافية من أزهى العصور الإسلامية وأكثرها إنتاجاً وأغزرها ثقافة وفكراً. وفي شخصية ابن سينا متسع رحيب للبحث والنظر، قل أن نجد في تاريخ الفكر الإنساني شخصية تعد لها اتساعاً وإحاطة وعمقاً، وهذا ما عني به الباحثون قديماً وحديثاً، فقد ألفوا الكتب والرسائل والمقالات، إلا أن الآراء التربوية عنده لم يتناولها الباحثون والمفكرون.

قد يعود هذا الإغفال إلى أن ابن سينا ضمن آراءه التربوية في رسالة السياسة. وهذه الرسالة لم يكشف مضمونها التربوي والتعليمي إلا في عهد قريب جداً، حتى (ابن أصيبعة) أورد في (طبقاته) جملة رسائله ومصنفاته، لم يذكرها بينها، ربما كان لعنوانها السياسة في

الأخلاق السبب في عدم ذيوعها وانتشارها، والذي ساعد على كشف مضمونها المستشرق العلامة (كاراده فو) بعدما تحرى آثار ابن سينا في دور الكتب الغربية، فأثبتها في مؤلفاته وقال عنها: «إن ما وضعه ذلك الإمام في الفلسفة الأدبية لهو نزر قليل، وإنما يعرف له في هذا الباب رسالة في الأخلاق مصونة في إحدى كنبخانات الاستانة».

ومن المعتقد أن هذه الرسالة وجدت في هولندة بمكتبة (ليدن)، وبيعت رسمياً إلى المسمى (محمد بن أحمد) سنة ٤٠٨هـ وقد قامت مجلة المشرق لصاحبها الأب لويس معلوف اليسوعي بنشرها في أعداد ثلاثة في عام ١٩٠٦م.

obeikandl.com

ثانياً: آراء ابن سينا التربوية

تضمنت رسالة ابن سينا في (السياسة) تربية الولد من مولده حتى خروجه إلى ميدان العمل والكسب في جميع جوانب الحياة التربوية والمهنية، وتركز اهتمام ابن سينا فيها بالإنسان وبتربيته وتحسين ثقافته في جميع الفروع العلمية، وأن يتخصص في فرع أو أكثر من فروع العلم والمعرفة. وأشار إلى أهم ما يؤخذ به الناشئ من أنواع التربية الجسمية والخلقية والعلمية والأخلاقية.

من هنا نستطيع القول: إن آراء ابن سينا التربوية تقوم على أساس نظرته للإنسان والمجتمع والعلوم المعرفية وما اهتمامه بتربية الطفل وما يتصل به من رضاع وفطام وتربية جسمية وأخلاقية وذوقية إلا دليل على تمسكه بالجوانب التي تسهم في تربيته وتنمية ميوله وقدراته التربوية والمهنية وفق الأهداف المرسومة.

والحق أن هدف التربية عند ابن سينا: تعني نمو الفرد نمواً كاملا من جميع الجوانب الجسمية والعقلية، والخلقية، على أن يتم إعداده ليؤدي واجبه في المجتمع وفق المهنة التي يرغب العمل فيها، أو يختارها بنفسه، وابن سينا بذلك يهدف إلى وجود الشخصية المتكاملة جسماً وعقلا وخلقاً حتى يتمكن الفرد من تأدية المهام التي يقوم بها في عملية (البناء الاجتماعي)؛ لأن المجتمع يقوم على التعاون، وعلى العلاقة الموضوعية في تبادل الآراء والخدمات بين أبنائه.

إن الكشف عن التراث العربي الإسلامي ودراسة «الآراء التربوية التي جاءت في مؤلفات الكتّاب والفلاسفة والأئمة عند المسلمين والعرب وخاصة (ابن سينا) تلك الآراء التي يتضح من دراستها مدى قيمتها ومدى اتفاقها مع المذاهب الفلسفية، والتقاليد الاجتماعية السائدة في العصور الإسلامية والتي تدل على فطنة هؤلاء الكتّاب، وسعة آفاقهم، وعمق معرفتهم للطبيعة البشرية، ولنفسية المتعلمين» (فتحية سليمان حسن، بدون تاريخ، مذاهب في التربية) للاستفادة من هذه المؤلفات في وضع منهج تربوي متكامل يبدأ من مرحلة الروضة حتى الدراسة الجامعية، هذا هو منهج ابن سينا، وهذه هي طريقته وأسلوبه، فما عرف في عصره واشتهر نجده يتفق في طائفة من فلسفته الأخلاقية وأشهر

فلاسفتهم أرسطو، وشيشرون وكونتليان، كما نجد الفارابي يتأثر بفلسفة أفلاطون أكثر منهم.

وقد تناول ابن سينا في آرائه التربوية الفرد في جميع جوانب الحياة، حيث دعا إلى العناية بتربيته منذ ولادته، وإلى تأديبه، وتعويده على اتباع السلوك الحسن بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، وبالإيناس حيناً، والوحدة حيناً آخر، وبالإعراض عنه، والإقبال عليه، وبالحمد والتوبيخ، على أن لا يتم اللجوء إلى العقوبة البدنية، لأن في ذلك إذلالا للطفل، وإهانة لكرامته، كذلك يوصي بأن يتناسب العقاب مع الذنب ويجب أن يشعر المعلم الطالب المخطئ بذنبه كي يكون واثقاً من عطف المعلم عليه.

هذه بعض آراء ابن سينا التربوية وسنقف عندها بالتفصيل عند دراستنا الاتجاهات التربوية للكشف عن آرائه في التربية والتعليم، لعلها تفتح لنا صفحة نيرة من كتاب هذا الفيلسوف الخالد، تبين موقعه من كبار المربين، كما هو بين كبار الفلاسفة والنابغين، وستكون كتبه ومؤلفاته ورسائله هي موئلنا ومصدرنا لهذه لدراسة

فابن سينا لم يكن طبيباً فقط بل كان مؤلفاً في علوم الدين واللغة والهندسة وطبقات الأرض وإن كان قد اشتهر بموسوعته العلمية الضافية في الطب والموسومة بـ «القانون» والتي تمثل خلاصة الطب اليوناني والعربي، وتمثل القمة التي وصلت إليها الحضارة العربية في فنون الطب تجربة ونقلا» (محمود أحمد السيد،١٩٩١، في قضايا التربية المعاصرة).

فهو لم يترك موضوعاً من مواضيع عصره ومجتمعه إلا وكتب فيه، ترك للأمة الكثير من المؤلفات والرسائل في شتى المواضيع ومختلف المجالات، كان عبقرية فذّة، اقتحمت بملامحها القوية النادرة مسالك الطريق الوعر الذي قادها إلى أعماق جذور الفكر الإنساني لاستكشاف الحقيقة وبيان ما عجز عنه الإنسان العالم في جميع المجالات.

إن عبقرية ابن سينا الفلسفية «استلهمت الكثير من أصولها ومناهجها من الفارابي – فيلسوف الإسلام بلا منازع – وهذا ما اعترف به الأستاذ الرئيس نفسه بعلو هذه التلمذة وتأثيرها عليه!...» (محمود عبد اللطيف،٢٠٠٧، الفكر التربوي عند الفارابي) لقد كان أبو علي ابن سينا ثمرة من ثمار أبي نصر: تميز بقدراته واستيعابه ومنهجيته في مختلف الموضوعات العلمية والمعرفية والتربوية.

إن آراء ابن سينا التربوية تهدف إلى إعداد الإنسان الصالح وكماليته وشعوره بمسؤولياته وأن يكون عنصراً فعالا في بناء مجتمعه، فالكمال الإنساني عند ابن سينا هدف إنساني يتحقق من خلال التربية. وبشيء من التفصيل يريد ابن سينا أن تكون التربية شاملة لكل وجه من الوجوه، القراءة والكتابة وحفظ القرآن والأدب والشعر، وإتقان للعلوم، وتشبع لمكارم الأخلاق.

ويرى أبو علي ابن سينا أنه يجب على المعلم أن يستغل ميول الطفل الداخلية من أجل تعليمه وأن يهيء الجو الأخلاقي الذي يجنب الطفل اكتساب الشرور وأن يحميه من قرناء السوء لأن الطفل إذا خالطهم تشرّب بأخلاقهم دون أن يدري.

يشترط ابن سينا في المعلم أن يكون نقياً، وحكيماً، وخالياً من الأمراض والعاهات الجسمية وذكياً ذا مروءة، كما يشترط على الأب أن يكون حكيماً في تربية الطفل وأن يجيد اختيار مرضعته والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يعكر صفاء حياته من أجل إسعاده وحسن تربيته.

مجمل القول: لقد أسهم ابن سينا من خلال كتابة السياسة في وضع قواعد التربية الإسلامية، وله في ذلك آراء فلسفية وتربوية هامة يجب عدم إغفالها بل تهيئة الجو المناسب لإعداد الفرد كي يعيش ويحيا حياة كاملة، فالإعداد للحياة الكاملة هو الغرض الذي ترمي إليه التربية.

وقد وضع (هربرت سبنسر) الفيلسوف الإنكليزي عوامل لتلك الحياة الإنسانية الكاملة، وفيها على حسب أهميتها هكذا:

١- الأمور التي تستخدم مباشرة لحفظ النفس.

٢- الأمور التي تستخدم عرضاً لحفظ النفس والحصول على ضروريات الحياة.

٣- الأمور التي تتضمن حفظ الصلات المتينة والعلاقات السياسية والاجتماعية.

٤- الأمور التي تجعل وقت الفراغ جزءاً من الحياة، وتخصصه بإرضاء حواس الإنسان وتهذيب عواطفه وأذواقه.

ثالثاً: علاقة الدراسات الفلسفية بالفكر التربوي عند ابن سينا

-آفاق الفلسفة التربوية

إذا كانت الفلسفة في أصل وضعها بلغة اليونان تعني (صوفيا) Sophia فإن الفلسفة التي تطورت من النظر في أصل الموجودات لدى طاليس، وديموقريطس، وهرقليطس، وأمبـــوذقليس ففيثاغورث، أولئك الذين قرروا أن مبدأ الوجود، الماء، أو النار، أو الذرّة، أو الماء والنـــار، والهواء والتراب مجتمعة، أو أنه العدد؛ هؤلاء يسمون من الباحثين في الفلسفة(علي شـــلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي).

الفيلسوف كما جاء في تعريف علي شلق «هو الذي يحيط بمعارف عصره، ويتأمل في كونه مجتمعاً، تاريخاً، أمماً غيباً، مبدأ نهايةً، وفي الذات من حيث داخلها الـــنفس، العقـــل، الروح، الحلم، الوهم، الرؤيا، الحدس، الظهر ثم يأخذ ببناء قلعة فلسفته شمولياً، وليس هذا فحسب بل أن يحلّ مشاكل الكون وعقده برأيه مهما كان جامحاً أو معقداً أو غريباً» (علي شلق، ٢٠٠٣، أبو حيان التوحيدي). وهذا يؤكد أن أفلاطون كان مـــن أوائـــل علمـــاء الفلسفة، و لم يعرف في العلم الفلسفي أسبق منه في هذا علم، وفي الحضارة الإسلامية ظهر ابن سينا الفيلسوف تام الشروط وعظيم العظماء وهو بحق في طليعة رجال الفلسفة عنـــد العرب.

إن فلسفة التربية تحدد للمربين الإطار التوجيهي للأنشطة التي سيقومون بهـــا، وهـــي بذلك توفر البنية العميقة للتربية، وينبغي أن تسري فيها كما يسري الماء في العود الأخضر.

يعتبر ابن سينا من أغزر فلاسفة الإسلام إنتاجاً وأكثرهم تنوعاً، كتـــب في علـــم المنطق وعلم الطبيعة وعلم النفس والرياضيات والإلهيات (ما بعد الطبيعة) ومشـــكلاتها المستعصية، واتجه نحو الفلسفة العميلة فدّون رسائل متفرقة فيها... وألـــف في الطـــب وموضوعاته نثراً وشعراً، واتجه إلى التفسير القرآني فدّون فيه مجموعة مـــن الرســـائل، وكذلك عن اللغة وعلاقتها بالفكر.

والفلسفة بمعناها عند المسلمين في العصور الوسطى كانـــت مـــن علـــوم الخاصـــة، والفلاسفة أنفسهم أصروا على ذلك، ونهوا العوام عن الانشغال بهـــا، وحـــددوا بعـــض

الشروط للمشتغل بها وما يجب أن يدرسه قبل أن يتعلم الفلسفة، إن فلسفة التربية ينبغي أن تكون جزءاً من رؤيتنا العامة للحياة والأحياء، كما ينبغي أن تكون في الوقت نفسه منفتحة على ما يتراكم من الخبرات في الوعي التربوي العالمي.

إن التربية الإنسانية تتجاوز حدود الواجبات والحقوق، لتسمو إلى آفاق مراعاة المشاعر والظروف والهموم، «إنها نوع من الشهامة والمروءة والتذمم أو هي - كما سماها القرآن الكريم - درجة الفضل قال تعالى: ﴿ وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

إن الفلسفة التربوية كما يريدها الشيخ الرئيس تقوم على تنشئة الإنسان الصالح الذي له سلوك واحد، وتعامل واحد، ومعايير واحدة، فالإنصاف، والأمانة، والعدل، وأداء الحقوق والنصح والإحسان، وإغاثة الملهوف، ورعاية حقوق الغير، وما شاكل ذلك من كريم الصفات مقومات أساسية يجب أن تتجلى في سلوك المربي في مختلف الاتجاهات.

إن النظريات التربوية، لا تعدو أن تكون أدوات في يد الفلسفة التربوية وهي مثل كل الأدوات، تستمد قيمتها من مدى إمكانية تطبيقها، ومن تحقيقها للغايات التي نشأت من أجلها؛ ولذا فإنها تصلح في مرحلة ولا تصلح في أخرى، وقد تصلح في بلد، ولا تصلح في بلد آخر، وقد مرّ على الناس زمان كان لهم المسيطر عليهم هو استيعاب الواقع الموضوعي وفهمه، لكن القرآن الكريم يشير إلى أن علينا أن نغير من هدف العلم ومن هدف التربية، وأن نضيف إلى محاولة فهم العالم محاولة تغييره (عبد الكريم بكار،٢٠٠١، التربية والتعليم)، كما في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ [الرعد:١١].

إن نظرية ابن سينا الفلسفية التربوية تمثل نزوعاً إنسانياً عميقاً نحو إصلاح الفرد، وإصلاح محيطه وتقويم اعوجاجه - وسد حاجاته، والمحافظة عليه قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

على الرغم من أن العامل المشترك بين الفلسفة والتربية يقوم على التوفيق بين الحكمة والتربية الحقة التي تتطلب القدرة على العمل، وقوة في الحكم، وحسن البصيرة،

وبعد النظر، والتحلي بالعادات الصالحة، والأخلاق الفاضلة: من النشاط والمثابرة، والأمانة، والاعتماد على النفس، والعناية بالصحة، والطاعة المعقولة، وأداء الواجب، وإرضاء الضمير في السر والعلانية، وبهذه التربية يستطيع الفرد أن ينتفع بعلمه في حياته العملية.

ومن هنا ندرك الحقيقة التي لمسناها في الفيلسوف الحكيم (ابن سينا) حين جمع بين المبادئ التربوية التي تتطلبها التربية الحقة وبين الفكر الفلسفي الذي تبناه ومن هنا يبدو واضحاً أن أي بناء فلسفي لا يستقيم إلا في جوٍ تتوافر فيه مناخات فكرية معينة، تتسم بالرقي والاتزان، والبعد عن الإرهاص والقلق، وتعيش جوها العلمي والاجتماعي بحرية واختيار بحيث يساعد هذا التقدم والانفتاح على ازدهار الذهنيات لاستقبال ما هو جديد وطريف في ظل حضارة متنامية عالمة هاضمة» (إبراهيم مدكور،١٩٤٧، الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق).

تناول الشيخ الرئيس في الفكر الفلسفي جوانب متعددة، وآثاره الكثيرة خاصة ما يتعلق منها بالمشكلات المعقدة.

– الترابط بين أجزاء فلسفة ابن سينا التربوية:

أجمع المؤرخون على أن ابن سينا سيظل تلك الذروة الشامخة، لأنه وعى كثيراً ومزج كثيراً، فشغل كل من اهتم بالفلسفة التربوية ولاحظ الباحثون في فلسفته التربوية الترابط المحكم والصارم بين مختلف الجوانب الفلسفية والتربوية في معظم مؤلفاته ومصنفاته، وإلى حرصه على عدم إهمال أي فكرة تتعلق بالجوانب التربوية أو الفلسفية أو السياسية، وهذا يشير إلى مدى الترابط بين نواحي فلسفته النظرية والعملية، وبالتالي يشكل أحد أهم عناصر الفلسفة المنهجية، وقد عرّف «لالاند» المنهج والفلسفة المنهجية بقوله: إنه مجموعة عناصر يتوقف بعضها على بعضها الآخر بحيث تشكل هذه العناصر كلا منتظماً، والفلسفة المنهجية هي مجموعة أفكار مترابطة منطقياً بحيث تفسر الأفكار الأخيرة بالأفكار الأولى».

إن مذهب ابن سينا في الفلسفة لا يختلف عن مذهب الفلاسفة العرب، وقد أخذ بهذا المذهب قبله الفارابي والكندي وبعده ابن رشد، ولقد بحثت نظرياته الفلسفية الميتافزيقية في

الخير، والصلة بين الله والعالم، وقورنت فكرة الألوهية عنده بما قال به المتكلمون من جانب وما قال به ابن رشد من جانب آخر، وهذه مسائل من الفلسفة الإسلامية في صميمها وأياً كان، فإن الشيخ الرئيس يورد تقديره لأبي نصر الفارابي في مجالات عدة من مؤلفاته بقوله: «أما أبو نصر الفارابي فيجب أن يفطم فيه الاعتقاد، ولا يجري مع القوم في ميدان، فيكاد أن يكون أفضل من سلف من السلف» (ابن سينا، بدون تاريخ، الإشارات).

وتلك شهادة حق وصدق، تضع أبا نصر في قمة الفكر الإنساني بما فيه أفلاطون وأرسطوطاليس.

إنتاج ابن سينا وافر ومتنوع شمل جميع المجالات، ولعله بين فلاسفة الإسلام أكثرهم حظاً من البحث والدراسة واستثمار المعارف في الكسب والارتزاق، ليتذوق الناشئ حلاوة الكسب بالصناعة والجد والاعتماد على الذات، وهذا في الحقيقة ما ترمي إليه فلسفة التربية قديماً وحديثاً، وعلى التربية أن تأخذ استعداد الطالب وأن توجهه بحسب الاستعداد، وأن ينظر إلى ما يراه أن تكون صناعته، فيُوجه بحسب ذلك والأخذ بعين الاعتبار ميوله واستعداداته ومواهبه، فالتربية الصحيحة هي التي تقوم على معرفة غرائز الإنسان وميوله لأن الغاية من التربية هي العمل، وابن سينا في ذلك لا يختلف عن غيره من فلاسفة المسلمين في الأخذ بمبادئ هذه التربية مما يعين في التأديب والتهذيب والحث على البر واصطناع المعروف، وكل ما فيه مكارم الأخلاق.

ابن سينا، عَلَمٌ جليل من أعلام الإسلام الموسوعيين الذي تنوع فيهم عطاء الله وتعددت في اهتماماته فروع المعرفة والثقافة حتى قيل إنه لم يظهر علم من العلوم أو فن من الفنون في عصره إلا وترك فيه مؤلفاً أو رسالة، إن التربية السيناوية تميزت بأنها تناولت حياة الإنسان منذ لحظة ولادته، وهذا يشير إلى اهتمامه بإنسانية الإنسان وإيصالها إلى المستوى المطلوب خلال دراساته لقضايا الفكر الفلسفي، منها ما يتعلق بعلم المنطق، وعلم الطبيعة، وعلم النفس وعالج من وجهة نظر الفلسفة التربوية ملامح التربية الملائمة المستقبلية، لأن إدراك ما هو مطلوب لسد حاجات الأمة يعتمد على إحراز (رؤية تركيبية) مشكلة من عناصر ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية كثيرة تندرج في مجال مواجهة

العقبات التي تواجه التقدم التربوي ومتطلبات الأمة وحاجاتها، والقضايا التي يجب أن تعطي الأولوية في المعالجة والإصلاح.

وهكذا يكون ابن سينا قد حاول أن يوجد منهجية علمية يحقق عن طريقها الغايات التي سعى إليها وبالتالي يكون منهجاً يطالب فيه كل فرد في كل زمان ومكان من خلال:

- تحصيل العلم والسعي إليه: لتحقيق هدف الإنسان وغاياته.
- نشدان العلم اليقين: القائم على معرفة طبائع الأشياء.
- الربط بين النتائج والأسباب، لتحقيق هدف الفكر التربوي.

لهذا نجد ابن سينا في كتاباته يدعو إلى التعقل في مختلف الظواهر الإنسانية والطبيعية على السواء، لقد وضعنا ابن سينا أمام مذهب تربوي واضح الأهداف ومحدد المعالم، نابع عن فلسفة مدركة لمستلزمات العملية التربوية وأبعادها من ناحية، ولطبيعة الكائن البشري وفطرته من ناحية أخرى، إنه أحد المبادئ الحديثة في التربية والمختص بمراعاة طبيعة المتعلم.

رابعاً: محتوى التراث التربوي العربي الإسلامي عند ابن سينا:

يعتبر الشيخ الرئيس (ابن سينا) من أوائل أعلام التراث العربي الإسلامي، اهتم بالفلسفة وتعلّم أوائل المنطق والهندسة والفلك وأكمل وحده دراسة الطبيعيات والإلهيات، ثم تعلم الطب، وعالج المرضى.

والحق أن ابن سينا كان رائداً في مختلف الاتجاهات العلمية والتربوية ترك تراثاً ضخماً ما بين مطبوع ومخطوط سيبقى المنارة المضيئة على مر الزمان والأجيال، عالج في مؤلفاته مكونات الفكر التربوي والنفسي في جميع الجوانب اللغوية والعلمية والأخلاقية والجسمية وأبرز المضامين التي ينطوي عليها هذا الفكر من إبداع فكري أسهم في تكوين الفكر العربي الخلاق، ويركز على مكانة التربية في تشكيل شخصية الطفل العربي ورعايتها وترسيخ مكانتها الاجتماعية باعتبار أن الطفل ثروة وطنية وقومية يمكن أن تستثمر لصالح ترقية وإنماء المجتمع العربي حاضراً ومستقبلا.

لقد استمد ابن سينا أصول وتكوين التربية العربية الإسلامية من مصدرين هما:

- القرآن الكريم كتاب الله العزيز وهو المنبع الأساسي الذي يحتوي على كل ما يتصل بشؤون الإنسان الحياتية والدنيوية والحياة الآخرة، وهو الأصل في تشريع القوانين وتحديد الأحكام والحقوق لبني البشر وفيه بيان دقيق للكون والحياة والإنسان وبه ومن خلاله استطاع الإنسان المسلم أن يفهم حقيقة وجوده وينظم علاقاته مع بيئته الطبيعية والاجتماعية وأن يرسم صورة حياته وكينونته.

- السنة النبوية الشريفة وهي ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل وهي مصدر متكامل مع القرآن الكريم وترجمة فعلية لأحكامه وهي استلهام من الوحي المنزل من عند الله بالاستناد إلى قوله تعالى بحق النبي صلوات الله عليه ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [النجم: ٣ - ٤].

اهتم الشيخ الرئيس بدراسة وتحليل سمات مرحلة الطفولة وكانت آراؤه مبنية على أساس الملاحظة والحدس واستلهام ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية لتشكل هذه الآراء نسقاً فكرياً أشبه ما يكون بنظرية وكما يوصفها محمود قنبر (لم تصل إلينا هذه النظرة في بنية فكرية كاملة بذاتها اصطلح عليها المربون، ويمكن نسبتها إلى مصدر واحد، أو إلى مفكر تربوي معروف، أو إلى منظر فلسفي بشر فيها وروج لها، أو إلى هيئة تربوية اشتغلت بها.. لقد جاءت إلينا في شكل معان أولية مستلهمة من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله وقد وقف أمامها نفر من العلماء المسلمين بالبحث والنظر فحولوها إلى مفاهيم متوافقة ومتآلفة تكوّن فيما بينها مبادئ النظرية التربوية الخاصة بتربية الطفل).

إن اهتمام أعلام التراث بتربية الطفل يشير إلى خلق الجو الملائم للطفل ليعيش حياة سعيدة من حيث:

١- البناء العقلي والنفسي والاجتماعي الذي يتجلى في التوحد مع قيم الأسرة والقبيلة كوحدتين اجتماعيتين متكاملتين لها قوانينها ونظمها وسلطاتها الخاصة وما على الفرد إلا التمسك بها والذود عنها حفاظاً على أمنه وسلامة شخصيته من الاضطهاد والعنف الذي قد يتعرض عليه في المجتمع.

٢- البناء الجسمي والمهاري للطفل الذي يجعل منه شخصية قادرة على التكيف مع متطلبات البيئة في مختلف المجالات لكي يكون في مأمن من المخاطر التي قد يتعرض عليها في تنظيم شؤون حياته.

من هنا نستطيع القول: إن ابن سينا من الرواد الأوائل في التراث العربي الإسلامي حصّل كثيراً، وألف كثيراً، وعني بشؤون السياسة، وامتاز بالاعتداد بالنفس، وبالطموح إلى المجد، هدف إلى إيجاد الإنسان الصالح بتربيته كفرد مع الأخذ بعين الاعتبار جميع المكونات التي تدخل في تركيبه.

لقد اتسم تراث أمتنا العربية بالعراقة؛ إذ إنه نشأ قبل ألوف السنين على الأرض العربية، وبقي متنامياً عبر الزمان والمكان؛ معبراً عن ذاته في عدد كبير من الحضارات قبل أن يتحد في النهاية في حضارة عربية إسلامية واحدة ذات ثقافة واحدة شملت الأرض العربية كلها.

كما اتسم بقدرته على استيعاب الثقافات الأخرى من فلسفة الإغريق وعلومهم إلى حكمة الهند وفكرها إلى آداب الفرس ونظمها؛ وقد تفاعلت ثقافتنا مع هذه الثقافات دون أن تفقد هويتها أو تذوب أو تفقد أصالتها؛ وطبعت ذلك كله بالطابع العربي مبرهنة على قدرة فائقة في التطور والنمو واستيعاب المحدثات في مجال العلوم والثقافة والفنون والآداب؛ وصمدت أمام محاولات التشويه والاستلاب؛ واجتازت بنجاح المعادلة الصعبة بين الحوار المكافئ والأخذ الإيجابي على الثقافات الأخرى، وبين الرفض القاطع لمحاولات طمس الهوية.

والحق أن ابن سينا (الشيخ الرئيس) يؤمن بالانفتاح الرحب على الثقافات الإنسانية التي كانت على الدوام ذات سمات إنسانية، ولن نضيف جديداً إذا ذكرنا أن هدف أمتنا العربية إنما يقوم على الانفتاح الحضاري الإنساني؛ فمن أرضها قامت الفتوحات وعبرها مرت وتعرضت لمحن واجتياحات، ومع ذلك كله بقيت تقدم للعالم أنموذجاً اجتماعياً إنسانياً يؤكد انفتاح الإنسان على أخيه الإنسان وظلت تحمل راية الحياة المعطاة؛ راية الأخوة الإنسانية، لقد عبر (ابن سينا) تعبيراً صادقاً عن الفكر الإسلامي ولهذا الفكر خصائصه ومميزاته. أخذ عن اليونان والرومان، كما تأثر بالفرس والهند والسريان، وألمَّ بالثقافة الإسلامية الشاملة المعاصرة له، وهضمها خير هضم، ثم ترجم عنها ترجمة صادقة، فكتب في الطب والكيمياء والطبيعة وعلم الأحياء، والفلك والرياضة والأخلاق والسياسة.

إن ثقافة ابن سينا ثقافة إنسانية واسعة الأفق، لا تخشى الأخذ عن الغير ما دامت تؤمن بنفسها، كما لا تخشى أن يؤخذ عنها فتستفيد وتفيد، ومن هنا كان ابن سينا مفكراً عالمياً، يرتفع عن حدود الزمان والمكان، ولا غرابة فهو عالم وفيلسوف؛ والعلم والفلسفة الحقة لا وطن لها، ففلسفته هي فلسفة اللغة العربية منذ القرن الخامس الهجري إلى أوائل القرن الحالي، وما يقال عن العربية يمكن أن يقال عن الفارسية التي تعتبر لغة ابن سينا الأصلية، فكتب بها وألف، وما لم يكتبه ترجمه الفرس إليها من بعده، وتعلقوا بتراثه جميعه، إن في الطب أو في الفلسفة أو التربية. وعن طريق العربية والفارسية امتد أثره إلى التركية، فتتلمذ له الأتراك بدورهم، ورددوا آراءه وتعاليمه، وأشير إلى أن مكتبات استانبول تعد أكبر مصدر لآثاره ومخلفاته.

ويرى الشيخ الرئيس أن الأهداف التربوية لا تتحقق في فراغ، إذ بدون محتوى ملائم تظل الأهداف شعارات غير قابلة للتطبيق في دنيا الواقع، وعلى علماء التربية في العالم الإسلامي أن يقوموا بإضافات جديدة كل في ميدان تخصصه، وأن يكون المحتوى صادقاً بعكس حقيقة العلم الذي ينتمي إليه، إذ لا شيء أخطر على الإسلام من السطحية بمعنى أن الاستشهاد ببعض الآيات والأحاديث دون إدراك صحيح لمقاصدها يضر أكثر مما ينفع. إن الطريقة التي تنقل محتوى معيناً للإنسان وتعتمد في طبيعتها على الأهداف التربوية بتزويده بالحقائق، فإن المحتوى يهتم بكمية الحقائق التي يقدمها، أما إذا كان الهدف تحليل الظاهرة والتعرف على أسبابها واستخلاص النتائج فإن المحتوى ينظم بطريقة تمكن الدارسين من ربط الأسباب بالنتائج، والتربية التي تعنى بالجانب النظري من المعرفة لا تبين للدارسين الكيفية التي يمكن أن تطبق بها تلك الآراء في الحياة العملية وتحقق الفائدة بمعنى أن محتوى العلوم التربوية يجب أن يعكس مختلف الطرائق المستخدمة في اكتساب المعرفة، وأن لا يقف عند واحد منها.

بذا يصنف ابن سينا الإنسان بقوله: هو عالم قائم بذاته... له كيان خاص مستقل، وفيه قوى دفينة له آماله وآلامه، وله أفراحه وأتراحه، وله خيالاته وأحلامه.. لقد نظر إلى الإنسان نظرة عالية فيها إكبار له وإجلال، وفيها إعجاب به واحترام لشأنه، والإنسان في رأيه ليس البدن، بل ذلك الجوهر الواحد الذي يسكن البدن، والذي يدعى النفس الناطقة.... فتلك هي الإنسان على التحقيق (ابن سينا، بدون تاريخ، الإشارات من الجزء الأول).

فالتربية كما يراها ابن سينا تبدأ بالإنسان من حيث هو إنسان، ثم تعمل على إيصاله إلى كماله الإنساني كي يتمكن من تحقيق الخلافة في هذه الأرض، وبهذا تكون عصرنة التراث كما يراها ابن سينا متمثلة في إعطاء قيمة وظيفية ذات تأثير وتأثر في جميع مراحل الحياة الإنسانية فعملية التربية، هي تنمية شخصية الإنسان على أن تتمثل كل الجوانب التربوية، في انسجام وتكامل تتوحد معه طاقات الإنسان وتتضافر جهوده لتحقيق هدف واحد تتفرع عنه وتعود إليه جميع الجهود والتصورات وضروب السلوك الشخصي.

منهج التحقيق

كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية للشيخ الرئيس ابن سينا، وهو سفر وجيز كبير المعنى، فهو كتاب جامع لجميع أصول العلوم الحكمية من منطقيات ورياضيات وطبيعيات وإلهيات وأخلاقيات، جمعه الشيخ الرئيس بأسلوب فريد وبلاغة نادرة.

وقد سار عملنا في الكتاب وفق المنهج التالي:

١- نسخ النص نسخا علميا دقيقا.

٢- مطابقة النص ومراجعته.

٣- ترقيم النص حسب قواعد الترقيم الحديثة.

٤- التعليق على المواضع التي تحتاج إلى شرح وإسهاب.

٥- صنع مقدمة حول الشيخ الرئيس ابن سينا والعصر الذي عاش فيه وتأثيره وتأثره بهذا العصر.

٦- عمل فهارس تفصيلية لأبواب الكتاب.

وأخيرًا فهذا هو جهد المقل، والمرجو ممن يطلع على كتابنا فيجد فيه عيبًا أن يبادرنا بالنصيحة، والتصويب، فكل معرض للخطأ، ولا كمال إلا لله سبحانه وتعالى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

المحقق

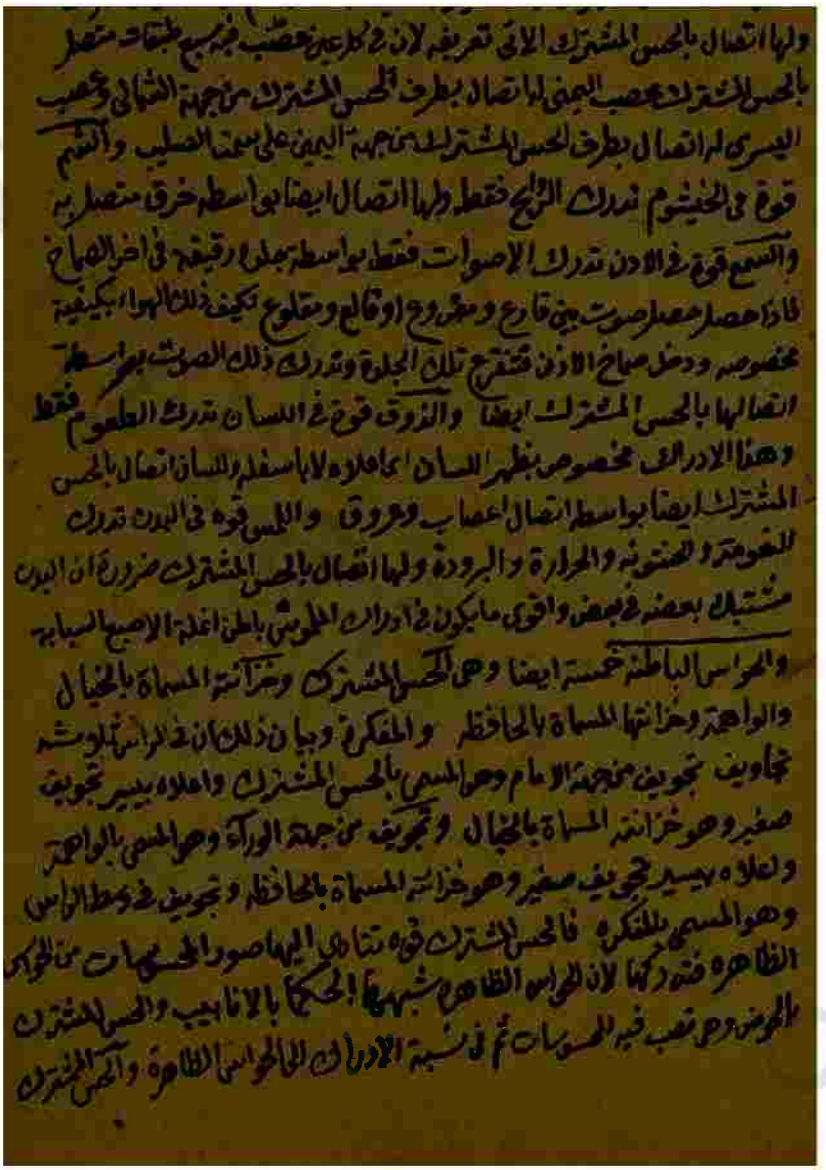

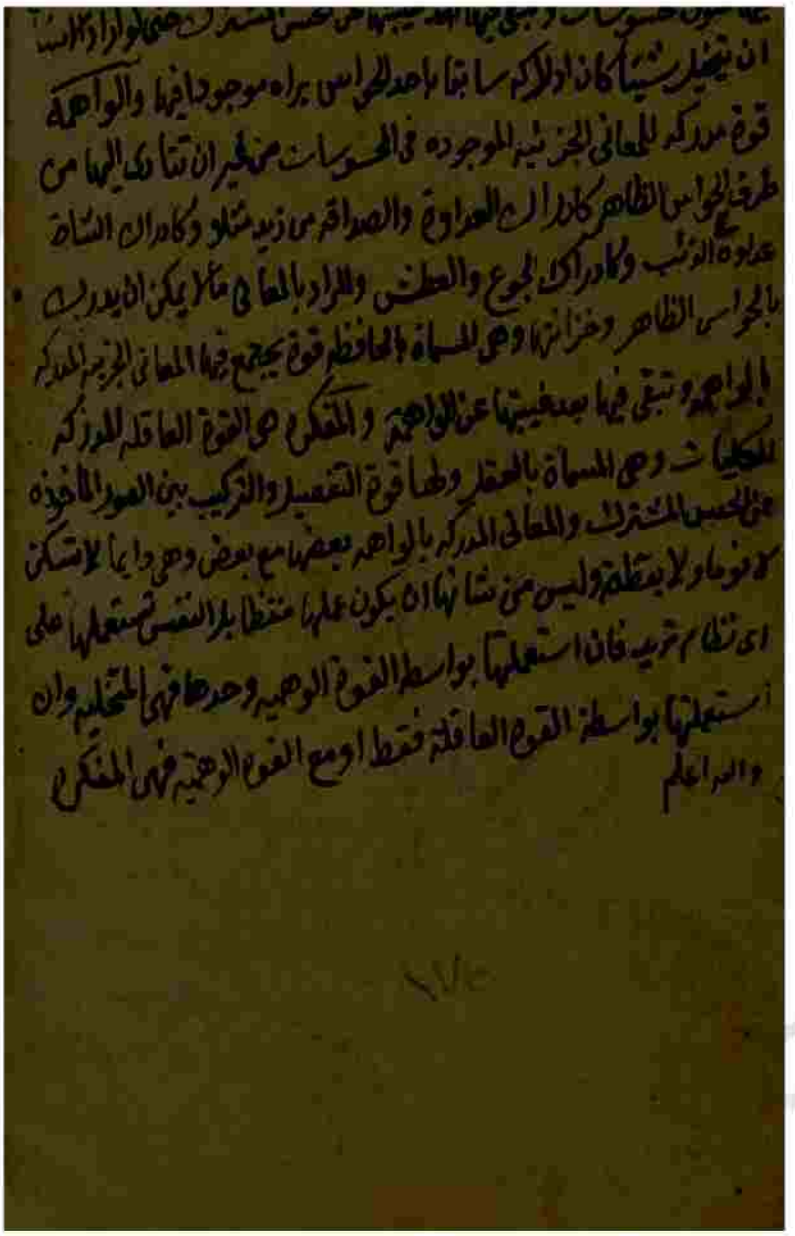

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر

أما بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على أنبيائه الذين هم عبيده ورسله، وعلى سائر خاصته الذين نالهم من كرمه أفضله وأجله، وأغرقهم إحسانه وجوده وفيضه وفضله، فإن طائفة من الإخوان الذين لهم حرص على اقتباس المعارف الحكمية، سألوني أن أجمع لهم كتاباً يشتمل على ما لا بد من معرفته لمن يؤثر أن يتميز عن العامة وينحاز إلى الخاصة ويكون له بالأصول الحكمية إحاطة، وسألوني أن أبدأ فيه بإفادة الأصول من علم المنطق ثم أتلوها بمثلها من علم الطبيعيات، ثم أورد من علمي الهندسة والحساب ما لا بد منه لمعرفة القدر الذي يقرن بالبراهين على الرياضيات، وأورد بعده من علم الهيئة ما يعرف به حال الحركات والأجرام والأبعاد والمدارات والأطوال والعروض دون الأصول التي يحتاج إليها في التقاويم وما تشتمل عليه الزيجات مثل أحوال المطالع والزوايا وتقويم المسير بحسب تاريخ تاريخ إلى غير ذلك، وأن أختم الرياضيات بعلم الموسيقى، ثم أورد العلم الإلهي على أبين وجه وأوجزه، وأذكر فيه حال المعاد وحال الأخلاق والأفعال النافعة فيه لدرك النجاة من الغرق في بحر الضلالات، فأسعفتهم بذلك، وصنفت الكتاب على نحو ملتمسهم مستعيناً بالله ومتوكلا عليه، فبدأت بإيراد الكفاية من صناعة المنطق لأنه الآلة العاصمة للذهن عن الخطأ فيما نتصوره ونصدق به والموصلة إلى الاعتقاد الحق بإعطاء أسبابه ونهج سبله.